وبعد فإن من سنن الكون ان لا ينفك المرء حياً لا الامم [illegible] وان [illegible] بأيديهم المشوا في العهد الاخير بالنسبة لضعفهم وقوة الامة والمصريين [illegible] الرزق من ايديهم ومعظم يزرعون حتى يعد ان استقلوا انه يخشى عليهم [illegible] الاجدم فانقض كثيراً عن خرجه ولا يبعد ان يجيء يوم يتولى فيه الذين لا نعرفهم الآن [illegible] ان نرفعهم ازمة الامور ويصيرون هم اصحاب البلاد خصوصاً اذا [illegible] ابناءهم [illegible] تربيتهم بطريق التعليم والمدارس [illegible] الاستقلال لا [illegible] الاتكال في الاعمال . يريدهم ليكونوا احراراً [illegible] الشريعة لا ليكونوا [illegible] آمرين ومأمورين . يريدهم ان يعرفوا قدر المال [illegible] كسبه من الوجوه المشروعة [illegible] لا بالاحتيال والنصب [illegible] الخدعة [illegible] يريدهم كما يربي الانكليزي ولده فيعلمه حتى اذا بلغ الرشد يطلبه [illegible] في معترك الحياة [illegible] كل . ولا [illegible] الا كما يربي الفرنسوي ولده فيعلمه [illegible] لا يملك [illegible] ويزوجه ويعطيه [illegible] حرم بناته حتى يخلف قدراً أكثر إليه

التعليم الوطني

من اهم المسائل الاجتماعية في العالم مسألة التعليم فهو الذي تحرص عليه الامم حرصها على حياتها . والتعليم الوطني هو [illegible] التعليم بحفظ الخصوصيات واللغات [illegible] العادات والعصبيات ولذلك تجد العراك في هذا الشأن على اشده ما يكون بين الامم الغالبة والامم المغلوبة فالبولونيون المنقسمون بين الالمان والنمسويين والروسيين الا ان كلاً من المانيا والنمسا وروسيا تحاول ان تصبغ البولونيين بصبغتها . والجزائريون لا [illegible] من فرنسا الا انها [illegible] القضاء على جنسيتهم [illegible] المبادئ الفرنسية واللغة الفرنسية . والكوريون لا [illegible] على اليابانيين الا لانهم [illegible] ان يصبغوا اهل كوريا بصبغتهم ويطمسون [illegible] على ماضيهم . واهل الالزاس واللورين لا يكرهون من الالمان الا انهم يرمون الى تربيتهم على الاسلوب الالماني [illegible] الالمانية الا [illegible] مع الزمن [illegible] وقوميتهم كما هي [illegible] الى روسيا . والبلغاريون لا [illegible] الالمانيا [illegible] تنشئتهم على ماضيها .

والهنديون اعظم ما ينقمونه على الانكليز تعليمهم الناس حب انكلترا وعلمها ولغتها وان كان الانكليز اكثر الامم مراعاة لعواطف المغلوبين على امرهم

وهكذا لو استقرينا تاريخ الانسان الى اليوم والى ما بعد اليوم نجده عبارة عن سلسلة ظلامات منشأوها سوء التفاهم بين الناس يريد القوي ان يسخر الضعيف ويطبعه على منازعه لاعتقاده بانه اعلى منه كعباً واكثر علماً وادباً وارجح عقلاً وانجح سعياً شأن العالم مع الجاهل يود ان لا تمر به ساعة الا ويعلمه شيئاً ليقربه منه ويحسن الانتفاع به ولكن ما كل قوي يكون اعلم من ضعيف ولا غالب اعقل من مغلوب ونادر في الناس والامم من يقر بارجحية غيره عليه ولو كان الحق في ذلك اوضح من فلق الصبح .

نقول هذا ونحن نرى التعليم الوطني في مصر والشام وهما اعرق البلاد العربية في الحضارة والعلم على اضعف ما يكون وان كانت مصر سيدة البقاع في هذا لان انتباه الناس منذ سنين لجعل طبقات التعليم بالعربية بعد ان كاد يصبح كله بالانكليزية لا بد ان يحفظ على المصريين لغتهم واخلاقهم وتقاليدهم اكثر مما يحفظها على السوريين مثلاً . فقد عبثت بالسوريين دواعي التفريق في الوطنية وضعفت ملكتها فيهم بكثرة المدارس الغير الوطنية في ديارهم . فان كانت هذه المدارس قد نفعت سورية بما ادخلته اليها من النور القليل فقد اضرتها باختلال عقدة الوطنية فمدارس الاميركان والروس واليونان والفرنسيس والانكليز والالمان قد اصلحت وافسدت . اصلحت بتلقين من تخرجوا فيها شيئاً من معارف الغرب واضعفت في نفوسهم حب الوطن بتحبيبها اليهم اوطاناً غير اوطانهم وتعريفهم الى رجال غير رجالهم ومساواتها في اعينهم الامم . والعاقل من حرص على نفع امته قبل كل نفع واعتز بما عنده قبل ان يتطاول الى ما عند غيره

رأينا افاضل الطبقة التي نشأت من مدارس الفرنسيس والاميركان والروس في ادوار مختلفة لم نشهد فيهم الا النادر من يغار على وطنه كما يغار على حرمه فكنا اذا حدثناهم بما تصير اليه حالة لغتهم ووطنيتهم بتخليهم عنهما قالوا واي نفع يرتجى لمن يتعلم اللغة العربية وهل هي الا لغة قوم بادوا وانقضت ايام سعدهم ومن يضمن لنا ان نعيش اذا تعلمنا اللغة العربية وتلك كانت اقل لغة من لغات العالم المتمدن اكثر فائدة . اما حالتهم في اختلال عقدة الوطنية فذلك واضح . ومن زهد في لغة آبائه وجدوده كان حرياً بالزهد في وطنه ووطنيته . واللغة والوطن يصح ان يكونا اسمين لمسمى واحد .

شهدنا اناساً قيل عنهم انهم يحملون الشهادات العالية من مدارس الاجانب فحكمنا

سألتهم بعض الاسئلة البسيطة في تاريخ امتهم وبلادهم لما كانت اجوبتهم الا استهزاء بما يترتب على معرفتهم ذلك من الفوائد وكان ايسر ما يجيبك به احدهم انه يعرف تاريخ روسيا واميركا وانكلترا وفرنسا معرفة جيدة ويوردون لك ايام تلك الامم واسماء رجال الحرب والسياسة والعلم فيهم ويعجزون عن ذكر شيء من تاريخ بلادهم الا القليل الذي تلقفوه بالسماع من العامة . هذا في ناشئة المدارس الاجنبية الذين هان عليهم ان يغادروا بلادهم واكثرهم نزحوا الى مصر واميركا وغيرها واختاروها موطناً لهم وربما حدثتهم انفسهم ان يتجنسوا بالجنسية الاجنبية لانه لا ترجى لهم عودة الى بلادهم وقد ملئت نفوسهم بحب من تخرجوا بهم .

وهناك طبقة ومعظمها من المسلمين تخرجت في مدارس الحكومة تخرجت اقرب الى العجمة منها الى العربية لان المدارس الاميرية ما برحت الى اليوم وقبل اليوم تعلم اللغة العربية تعليماً صورياً وتوفر عنايتها بالتركية لغة البلاد الرسمية ولا نغالي ان نقول ان سورية قد نشأ منها زهاء خمسماية ضابط وعمالاً اكثر من الموظفين لا يعرفون من اللغة العربية الآن ليتكلموا الكلام العادي البسيط واكثرهم يمزجونه بألفاظ تركية لا يفهمها ابن العرب ويعتذرون عن قصورهم بانهم لم يتعلموا في المدارس لغة آبائهم واجدادهم ومن يقدرون منهم على الكتابة الصحيحة بلغتهم افراد يعدون على الاصابع تعلموها في الغالب بعد ان انجزوا دروسهم . والمتخرجون في مدارس الحكومة لا يحسنون في الاكثر تاريخ الدولة العثمانية فضلا عن تاريخ العرب وامجاد اسلافهم .

جنت مدارس الاجانب والحكومة على هذه البلاد اعظم جناية لان المتخرجين فيها ومعظمهم من الاذكياء على جانب عظيم لم ينفعوا الدولة حق النفع ولم ينفعوا البلاد التي ولدوا فيها فتراهم عمالاً في غير اوطانهم فاما ان يتنقلوا في الوظائف واما ان ينتقلوا من البلاد جملة فتحرم منهم الامة التي اولدتهم والسماء التي اظلتهم والارض التي اقلتهم والبلاد لا تعمر الا بايدي ابنائها بعد ان قيل في الامثال «قتل ارضاً عالمها» وهل اعلم بها من ابنها .

ابحث عمن تخرجوا في هاتيك المدارس منذ الثلاثين سنة تجدهم الا قليلاً جداً وقفوا انفسهم على نفع غيرهم واحتقروا جنسيتهم ولغتهم وربما كان عدد المحتقرين لها في ناشئة المدارس الاميرية اكثر من متخرجي المدارس الاجنبية لان هؤلاء يرون باحتكاكهم بالاجانب مبلغ تفاني هؤلاء في انهاض امهم وحبهم لغتها وتقاليدها ولمدارسهم عناية

بالعربية اكثر من المدارس الاميرية فاذا كان الطالب حصيف الرأي لاينطلي عليه محال من يحاولونه ولكن من اين له وطنية كوطنيتهم وغيرة كغيرتهم وهو لايعرف من اسباب وطنيته حتى ولا لغتها ولا من مجد اجداده الا قشوراً ولا من حاجات بلاده وقانونها الا تافهها . وهل غير القوي يدافع عن حوزته وغير العاقل يحتفظ بعاداته ولغته والقوة لاتنشأ الا بالعلم والتربية الوطنية

ان المدارس الغير العربية في سورية اشبه بالسارق الذي يسرق الاعلاق ونفائس المتاع . استغفر الله بل ان من يسرق فلذات الاكباد ليخرجها على ما اراد اشق على النفس وطأة واعظم في المغبة اثراً وهل يقاس سارق الاموال بسارق الاطفال والرجال اوليست الارواح اثمن من كل بضاعة وهل اعز من الولد على قلب ابويه

وليس معنى هذا الدعوة الى مقاطعة المدارس الغير العربية فان اهل هذه البلاد لاغنى لافرادهم عن تعلم اللغة التركية لغة السياسة الجامعة ولا عن تلقف بعض اللغات الاوربية الراقية كالانكليزية والفرنساوية والالمانية والايطالية ولكن الواجب ان يتعلموا ماشاؤوا من اللغات والعلوم بعد ان يحكموا لغتهم كتابة وخطابة حتى لايسرق ابناء سورية بتساهل آبائهم ويبيعوهم من اقوام اخر بالمجان على امل التوظف في وظائف الحكومة او الاحتكاك بالاجانب احتكاكاً يؤدي في الاكثر الى ارتحال المتخرج بهم عن بلده وزهده في وطنه زهداً ابدياً .

ان المدارس التي تعلم على غير الاسلوب الوطني هي التي تسلب من سورية اليوم بعد اليوم روحها وناهب الروح ماذا يدعى في الشرع والعقل؟ ان لاهل كل قطر منازع خاصة بهم وعادات واخلاقاً ومميزات اذا فقدوها هلكوا واختل امرهم واضحوا عبئاً ثقيلاً على البلاد لاينتفعون بها ولا هي تنتفع منهم . فالواجب اذاً انشاء مدارس لاحياء التعليم الوطني لتحيا بحياته البلاد لان مئة رجل يعرفون الزراعة باللغة الفرنسية اقل نفعاً من واحد يشرحها للعرب بالعربية وقد يكون تعلمها بالعمل لا بالنظر . وهكذا الحال في مئة كاتب متعلم قرأ العلوم والآداب بغير لغته لايستفيد منه قومه عشر معشار كاتب واحد يعرف كيف يعلم عامة قومه قبل خاصتهم وجاهليهم قبل عالميهم اصول المعاش والمعاد بلغة ابيه وامه .

ان مما عاق الاتراك عن فهم اسرار الشريعة قلة عنايتهم بالعربية التي يجب على كل مسلم ان يتعلمها والذي عاق العرب عن فهم قوانين البلاد جهلهم بالتركية لغة الجامعة

العثمانية التي توجب السياسة تعليمها لتلاميذها كثيراً جداً . كتدريس اللغة التركية ولم يستفد منها الا القليل من الاتراك ، ومن من تعلموا ليتوظفوا من العرب والروم والارمن والارناؤد والاكراد واللاز والالبانيين والشركس والبلغاريين ، وما تخرج في مدارس الحكومة احد من العرب يحسنون الكتابة والخطابة بلغتهم كما يحسنونها باللغة التركية عليهم ان يكتبوا في الاقل من نقل هذه الدواوين الى العربية ويعرف العثمانيون ظلمهم لها عليهم وافادوا بلادهم وقومهم فائدة كبرى .

ان ما يحكى ان بعض [illegible] الاساتذة فتوراً بحلول [illegible] في [illegible] ومالا كل الاختلاف في الماهيات طبيعياً [illegible] تركي وعرب وأورب وآسيوي - ولذلك جاءت قوائم الدروس الجديدة في المدارس الابتدائية والثانوية في الولايات العربية مثل دروس الولايات التركية لا فرق بينها الا ان العربية الآن يكون قراءة القرآن في الصفوف الابتدائية [illegible] بلا فهم ولا نظر

واكبر دليل على ان نظارة المعارف العثمانية جاهلة بمنافع البلاد انها اسست مدرسة لتخريج المعلمين في دمشق ولم تذكر انها فيه العلوم العربية لغة اهل البلاد ، وجعلت الجهد كله مصروفاً الى تعليم التركية حتى لا يعلو الاساتذة [illegible] الا ما سلموه ، ويكثر عدد العارفين بالتركية من العرب من تعليم الاطفال من خصوصاً منهم [illegible] التعليم الابتدائي اجبارياً الا وقد اهمل العرب تعليمهم [illegible]

صرحت بها وان كان لها مخالفة كبرى الى العرب الذين لم يستفيدوا من حرية الدستور حتى الآن ، ويشكون الى الآن كتاتيب معلمة الذين تعلموا منهم من اسر الطرق حتى ينظروا بعد الآن بالاولاد على التعليم ولا يفقدوا عدداً كبيراً ممن يدخلون بمدارس الاجانب [illegible] ويضعف [illegible] اما مؤسسو تلك المدارس الاجنبية كانت [illegible] يعرفون [illegible] الذي [illegible] الى القوي يريد ان يستغرق الضعيف [illegible] من حيث الكون . ولم يبلغ [illegible] من الاصلاح المساوى في [illegible] والعناصر كلها [illegible] جنس التركيب [illegible] .